## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا محمد وعلى آلـه الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن من المعلوم أن العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام وأساس الملة، ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإيمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، [سورة المائدة، الآية ٥]؛ وقد أدرك السلف من الصحابة هذه الحقيقة فعملوا على ترسيخ العقيدة في القلوب، وتحقيقها في واقع حياتهم العملية وجاهدوا في سبيل نشرها بكل ما آتاهم الله من قوة، فلم ينقل عنهم أنهم اختلفوا أو تجادلوا في قضايا العقيدة الكبرى اللهم إلا في اليسير منها، وذلك أن رسول الله  كان موجودا بينهم وهو المرجع لهم في أي خلاف، ولأنهم كانوا على قدر عال من فهم النصوص القرآنية وفهم المراد منها، فالقرآن نزل بلغتهم وهم أعرف الناس بها، وهم أهل اللغة و الشعر والفصاحة والبلاغة، وقد ظهرت الفرق الإسلامية بعد انتقال النبي () إلى الرفيق الأعلى وتحديدًا في نهاية عصر الخلفاء الراشدين؛ بسب اتساع رقعة الإسلام، مما أتاح للمسلمين الفرصة للتأثير الأجنبي فيهم من خلال الثقافات الوافدة التي استطاعت أن تنفذ إلى بعض فئات المجتمع الإسلامي الهامة فتأثرت وأثرت، وساعد على ذلك دخول الحاقدين ساحة التأثير في المنهج الإسلامي، فبدأ نوع من الاستقطاب لقطاع كبير من المسلمين، فانحرفوا بعقيدتهم، وبدأوا يضعون بعض المبادىء الهدامة التي واكبت مسيرتهم، وقد هيء الله لكل زمان رجالاً يذبون عن دينه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين إلى أن تقوم الساعة، وقد تعامل العلماء مع هذه الفرق بحكمة وجادلوهم بالتي هي أحسن امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، [سورة النحل، الآية ١٦]، فأظهر الله الحق على أيديهم وقرروا وبينوا العقيدة الصحيحة للناس، وقد أطلق عليهم بأهل السنة والجماعة، إلا إنهم لم يكفّروا أحداً من هذه الفرق ولم يخرجوهم من دائرة الإسلام، يقول أبو الحسن الأشعري: " وقد اختلف الناس بعد نبيهم () في أشياء كثيرة ضلل فيها بعضهم بعضا وبريء بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين وأحزابًا متشتتين ألا إن الإسلام يجمعهم"[1] ، وهكذا كان نهج الأئمة من المحدثين، ونخص منهم محدثي القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وهم كثير وسنقتصر على من اشتهر منهم بالتصنيف والتأليف في مجال العقيدة الإسلامية وإلقاء الضوء على جهودهم في علم العقيدة تأصيلاً وتحقيقاً، وقد احتوت مصنفاتهم من الدرر مما لا غنى عنه لطلاب العلم عنها.

**مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في النقاط الآتية:

١. جهل الكثير من الناس بمنهج المحدثين في العقيدة .

٢. عدم وجود فهم صحيح لمنهج السلف ومنهج أهل السنة والجماعة بين الكثير من الناس .

٣. وفرة تراث المحدثين في علم العقيدة، وأهمية العمل على إخراج ما في ثنايا كتبهم، لاستخراج بعض الكنوز والدرر منهم.

**أسئلة البحث:**

سيتناول الباحثون إشكالية البحث بالأسئلة الآتية:

١. ما تعريف العلماء لعلم العقيدة؟ وكيف نشأ وتطور عبر التأريخ؟

٢. من هم أبرز محدثوا القرنين الثامن والتاسع الهجريين؟ وما هي جهودهم في العقيدة؟

٣. ماهو منهج المحدثين في العقيدة؟

**أهداف البحث:**

سيعالج الباحث إشكالية البحث بالجواب على أسئلة البحث بتحقيق الأهداف الآتية:

١. استقراء ودراسة وتحليل آراء ومنهج المحدثين في العقيدة.

٢. بيان المكانة العلمية لمحدثي القرنين فهم من كبار علماء الأمة.

٣. الفائدة العائدة للباحثين من بحث هذا الموضوع، فقد اشتمل على إبراز عقيدة المحدثين ومنهجهم وجهودهم فيها، والتي تَحصَل من دراستها فوائد جليلة.

**الدراسات السابقة:**

لم يتطرق أحد من الباحثين – في حدود اطلاعنا – إلى جهود المحدثين في علم العقيدة في القرنيين الثامن والتاسع الهجريين، ما عدا بحث بقلم الأستاذ الدكتور محمد عبد الستار نصار بعنوان(جهود المحدثين في الدفاع عن العقيدة)، وهذا البحث اقتصر على إبراز خصائص منهج المحدثين في الدفاع عن العقيدة وبيان موقفهم من التطرف بين الجمود والتحرر الفكري وجعل من ابن تيمية وابن القيم إنموذجاً لدراسته.

**منهج البحث:**

١. المنهج الإستقرائي: سيقوم الباحثون باستخدام هذا المنهج في استقراء أقوال المحدثين وآرائهم وتعليقاتهم في مسائل العقيدة وبيان جهودهم ومنهجهم.

٢. المنهج الوصفي: هو طريق يعتمد عليها الباحثون في الحصول على معلومات وافية ودقيقة تصور الواقع الإجتماعي وتسهم في تحليل ظواهره، لذا سيستخدم هذا المنهج في تصور الواقع الاجتماعي في حياة المحدثين وأثره في منهجهم.

٣. المنهج التحليلي: سيستخدم هذا المنهج في تحليل ما تم استقراؤه ووصفه في المنهج السابق، وما يكتنف هذه النصوص من آراء واختلافات عقائدية وما يعتري هذه الإختلافات من أسباب واستدلالات.

**خطة البحث:**

جاء هذا البحث مكوناً من مقدمة ومبحثين وخاتمة وتفصيلها كالآتي:

**المبحث الأول: علم العقيدة تعريفاً وتأريخاً.**

**المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً(باختصار).**

**المطلب الثاني: علم العقيدة تاريخ وتطور (باختصار).**

**المبحث الثاني: جهود علماء القرنين الثامن والتاسع الهجريين في العقيدة.**

**المطلب الأول: جهودهم في العقيدة.**

**المطلب الثاني: أبرز علماء العقيدة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.**

**المطلب الثالث: منهجهم في العقيدة.**

## المبحث الأول: علم العقيدة تعريفاً وتأريخاً.

### المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: العقيدة في اللغة: تأتي " من لزوم الشيء والعزم عليه، نقول: عقد قلبه على الشيء، أي لزمه "[٢]. وتأتي أيضاً من (عقد) العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدَّ وشدة وثوق، وتدل أيضاً على معان متعددة منها: الربط، والإبرام، والتماسك، والمراصة، والإثبات، ومنه اليقين، والجزم، والتصميم، والعزم، والصلابة، يقال: عقَّدتُ الحبل، والبيع والعهد فانعقد، والعقد العهد والجمع عقود وهي أوكد العهود، ويقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا وتأويله: ألزمته ذلك، والمعاقدة: المعاهدة، وعاقده: عهده، وتعاقد القوم: تعاهدوا، ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[ سورة المائدة، الآية ١٦][٣].

وخلاصة القول: أن ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به، فهو عقيدة سواءً أكان حقاً أم باطلاً، وهو كما عرفه الجرجاني: " ما يقصد فيه نفس الإعتقاد دون العمل"[٤].

**ثانياً: العقيدة اصطلاحاً:** اختلف العلماء في تعريف علم العقيدة اصطلاحاً بحسب اتجاهاتهم الفكرية وتنوع آرائهم وكانت كالآتي:

١. عرفها التفتازاني بقوله: "العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية"[٥].

٢. وعرفه محمد عبده بقوله: " علم يبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن يثبت له، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالاتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم"[٦].

والذي يبدوا ومن تعريفات العلماء لعلم العقيدة الإسلامية: أن هذا العلم يعتمد على منهج البحث والنظر والإستدلال العقلي على صحة العقائد الدينية التي أثبتها الوحي حيث جعلوا مهمة العقل: الفهم عن الشرع، والتماس البراهين لها، ودفع الشبه عنها[٧].

والذي يستخلص من التعاريف السابقة أن العقيدة: هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك.

**المطلب الثاني: علم العقيدة تاريخ وتطور(باختصار).**

خلق الله الإنسان وأهبطه على هذه الأرض لحكمة حددها هو–سبحانه وتعالى– يوم أن قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، [سورة البقرة، الآية ٣٠ ]، والخلافة إنما تكون بعبادة الله وحده حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [سورة الذاريات، الآية ٥٦]، والعبادة تعني الخضوع والتسليم الكامل لرب العالمين والطاعة المطلقة لما يأمر به سبحانه وهذا كله لا يتم ولا يمكن أن يتم إلا بعد أن يفهم الإنسان مقدمات هذه الغاية وأولوياتها، فلا بد أن يفهم المقدمات التالية:

أولاً: معرفة الله تعالى الذي خلقه لهذه الغاية–العبادة–، وحين لا يعرف الإنسان خالقه فلا يمكن أن يحقق الغاية من خلقه ووجوده.

ثانياً: معرفة ماذا يريد الله تعالى، فإن معرفة الله المجردة لا تقود إلى العبادة والطاعة، فلا طاعة إلا ويسبقها أمر، فمع جهل الإنسان بالأمر لا يمكن أن نحكم عليه بالطاعة والعصيان.

ثالثاً: معرفة ما ينتج بالنسبة له، ماذا لو أطاع ونفذ أمر الله، وماذا لو خالفه وعصاه[٨].

وبعد هذه المقدمات يجب أن يكون الجواب عنها واضحاً قبل البدء بأي عمل من الأعمال، وقد أجاب القرآن الكريم بجواب شامل مقنع مفصل، فالله هو الخالق وهو الآله المعبود وحده–توحيد الله– بأسمائه وصفاته وافعاله، وهذه هي قضية القرآن الكبرى التي اهتم بها عرضاً واستدلالاً، ثم بين القرآن الكريم الجواب عن المقدمة الثانية وهي: أن الله خلق عباده لغاية عظيمة وهي الخلافة في الأرض لتحقيق معنى العبودية الحقة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [سورة الذاريات، الآية ٥٦]، ثم فصل القرآن الكريم القول في النتيجة بمنتهى الصراحة والبيان: الجنة للمؤمنين الطائعين، والنار للكافرين المارقين، هذه الأجوبة هي التي تكون ما نسميه بعلم العقيدة الإسلامية.

ومصطلح العقيدة لم يرد على ما نعلم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة، فهو مصطلح حادث اطلق عليه في القرآن الكريم تحت مصطلح الإيمان، شأنه شأن باقي العلوم كـ(الفقه)، و(الأصول)، و(الحديث)، وغيرها من العلوم.

ومن المعلوم أن علم العقيدة أعظم العلوم الشرعية، لأنه يبحث في معرفة الله تعالى والإيمان به وبرسله، وباليوم الآخر، وما يتعلق بهذه الاصول من المسائل العقدية الكثيرة، فلا غرو أن يحظى هذا العلم الشريف باهتمام علماء المسلمين وعنايتهم عبر القرون.

وفي تقديرنا أن هذا هو من أظهر الأسباب التي دفعت الكثير من العلماء بإفرادهم العقيدة بالتأليف والتصنيف، ومما يجدر التنبيه إليه أن التدوين لم يكن الناس بحاجة إليه في الصدر الأول من ظهور الاسلام لوجود الصحابة والتابعين بين ظهراني الأمة، فقد قاموا بإنكارها والتحذير منها ومن أصحابها بقوة وحزم[٩] . فلم تكن الحاجة إلى التدوين قائمة في ذلك الوقت .

وكان القرن الأول الهجري ما بين سنة (٦٠ و١٠٠) للهجرة قد ظهر فيه أصول البدع كالخوارج والجهمية والشيعة ثم القدرية، والتي كانت أساس الخلاف العقدي في الأمة وسبب نشوء الفرق.

ثم بدأ القرن الثاني الهجري فتنامت البدع وكثر الإفتراق ولا يزال الإفتراق يزداد حتى كثرت الفرق وتعددت[١٠] ، لا سيما المعتزلة، وقد كان من أعظم سبب ظهورهم، وانتشار مذهبهم وقوة شوكتهم في حدود المائة للهجرة حتى منتصف القرن الثالث الهجري، حين وقف معهم ثلاثة من الخلفاء العباسيين، (المأمون٢١٨هـ[١١]، والمعتصم٢٢٧هـ ثم الواثق٢٣٢هـ ابن المعتصم)، ثم رفع الله المحنة ونصر السنة بالخليفة (المتوكل٢٤٧)، حيث أصدر أمره بترك النظر والمباحثة في الدين، وترك ما كان عليه الناس ايام المأمون وامر الناس بالتسليم والتقليد، وامر الشيوخ المحدثين أصحاب النص والمنهج النقلي بالتحديث وإظهار السنة[١٢]. وهكذا انتهى الإنحراف العقدي الذي ولدّته ظروف خاصة وبرزت الحاجة لتقويم المنهج وإصلاحه وذلك برده إلى خطه الأول الأصيل كسلاح يدافع عن العقيدة ولا يطغى عليها.

واستمرت موجة العداء الفكري للمعتزلة بعد عهد المتوكل وانتهى هذا الإنقلاب العسكري بانقلاب آخر فكري كما يصوره الدكتور عرفان عبد الحميد وذلك بظهور الشيخ أبي الحسن الأشعري من صفوفهم ومبالغته في الرد عليهم بعد أن لبث بينهم أربعين عاماً حتى قيل: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم[١٣] . وقد انتصر لمذهبه جملة من أكابر العلماء من المتكلمين والمحدثين والفقهاء[١٤]، وقد قاموا بتوسيع تعاليمه وآرئه حتى انتهت جهودهم بتكوين المدرسة الكلامية التي تحمل اسم الأشاعرة والأشعرية، هذا وقد استطاعت هذه المدرسة من بسط نفوذها وزعامتها الفكرية على العالم الاسلامي منذ بداية القرن الرابع الهجري حتى عصرنا الحاضر، ومع ما

كان للمدرسة الاشعرية من مكانة في العالم الاسلامي، فقد استمرت موجة العداء الفكري للنظر العقلي في العقائد في صفوف أهل الحديث وخاصة من الحنابلة ممن اشتهروا في الوقوف على النص وعملوا على إحياء مذهب السلف كما يدعون وأخذ العقائد من الكتاب والسنة وترك النظر، وقد بدأت هذه الحرب على علم الكلام السني بثوبه الاشعري بشيخ الإسلام ابو اسماعيل الانصاري الهروي(٤٨١هـ)، وتابعه فيما بعد ابن قدامة المقدسي(٦٢٠هـ)، وابن الصلاح الشهرزوري(٦٤٣هـ)، وابن تيمية الحراني(٧٢٨هـ)، ابن القيم الجوزية(٧٥١هـ)، وهكذا تحولت المعركة الفكرية من منذ القرن الرابع الهجري إلى يومنا هذا إلى نزاع فكري بين المدارس التوقيفية المتوسطة من اشاعرة وماتريدية تجمع بين النص والعقل من جهة، وبين مدرسة أهل النص من الحنابلة ممن تسموا بالسلفية فيما بعد[١٥] .

وما ذكرناه هنا من نشأة هذا العلم إنما هو إلماحة سريعة تصور الحالة التأريخية لهذا العلم الأجلّ.

## المبحث الثاني: جهود المحدثين في القرنين الثامن والتاسع في علم العقيدة

### المطلب الاول: جهود المحدثين في العقيدة

**أولاً: جهودهم في العقيدة:** إنّ جهود المحدثين في العقيدة جهود كبيرة ولا يمكن أن تستوعب في بحث صغير، وإنما تحتاج إلى رسائل وأطاريح لإحصائها وبيانها، ولكننا سنأخذ بعض النماذج من هذه الجهود في بعض المسائل الرئيسية في علم العقيدة، ومن هذه المسائل:

**١. جهودهم في قضية الايمان وتقريرها:**

عرّف المحدثون الإيمان لغةً بأنه: التصديق، والإيمان هو مصدر آمن يؤمن إيمانًا، فهو مؤمن، وهو من الأمن ضد الخوف، ويأتي بمعنى الثقة وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة والتصديق الذي معه أمن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾، [سورة يوسف، الآية ١٧]، أي بمصّدق، وضده التكذيب، يقال آمن به قوم وكذب به قوم[١٦].

أما الإيمان اصطلاحاً فقد عرّفه المحدثون بأنَّه: " قول وعمل، يزيد وينقص" [١٧].

ثم بيّنوا وفصّلوا أقوال العلماء والفرق الكلامية وشرحوها شرحًا موجزًا محاولًين الجمع والتوفيق بيّن الأقوال والرد على الفاسد منها، وبعد أن بيّن المحدثون أقوال العلماء والفرق الكلامية في تعريف الإيمان، قالوا: انَّ الإيمان لا يخرج بإجماع المسلمين عن فعل القلب وفعل الجوارح، فهو حينئذ إما فعل القلب وهو المعرفة على الوجهين أو التصديق المذكور، وإما فعل الجوارح فقط وهو فعل اللسان وهو الكلمتان، أو غير فعل اللسان وهو العمل بالطاعة المطلقة أو المفترضة، وأما فعل القلب والجوارح

معاً، والجارحة أما اللسان وحده أو جميع الجوارح، وهذا كله بالنظر إلى ما عند الله سبحانه وتعالى، أما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط، فإذا أقر حكمنا بإيمانه اتفاقًا [١٨].

أما في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فقد بين المحدثون اختلاف العلماء من أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه وقرروا وأيدوا قول السلف في أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وإنَّ قبول الزيادة والنقص ظاهر على تقدير دخول القول والفعل فيه[١٩].

**ثانياً: جهودهم في أثبات الصفات الإلهية:**

تكلم المحدثون عن الصفات الإلهية الواردة في الآيات والأحاديث الصحيحة، وقد اختار أغلبهم وبعد التتبع والإستقراء منهج أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية في تقسيمهم الصفات بالنسبة إلى ثبوتها فقسموها إلى عقلية وهي: التي يشترك في ثبوتها الدليل السمعي النقلي والدليل العقلي، وخبرية وهي: التي لا سبيل إلى اثباتها الا بطريق السمع والخبر الصحيح من القرآن والسنة كالوجه واليد والعين[٢٠]، وتندرج تحت هذين النوعين بقية الصفات السلبية والذاتية والاضافية، وإلى ذلك اشاروا بقولهم: صفات الله اما ان تكون سلبية وتسمى بالتنزيهات ووجودية حقيقية اي ذاتية و اقترنت به دلالة العقل كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام وأنها قديمة لا محالة وإضافية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعفو والعقوبة وهي حادثة ومن حدوثها لا يلزم تغير في ذات الله وصفاته التي هي بالحقيقة صفات له كما أن تعلق العلم وتعلق القدرة بالمعلومات والمقدورات حادثة[٢١].

وقد قسموا الصفات العقلية إلى:

**أولاً: الصفات السلبية:** وهي التي لا تدل بدلالة المطابقة على معنى وجودي أصلاً، إنما تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله[٢٢]، مثل: التوحيد، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، وانه لا ولد له، ولا زوجة، ولا في مكان، وغير ذلك، فالقدم سلب لأولية الوجود، والبقاء سلب لآخرية الوجود، وهكذا باقي الصفات[٢٣].

**ثانيا: الصفات الوجودية:** "الثبوتية أو الذاتية أو صفات المعاني": وهي التي تدل على معنى ثبوتي وجودي قائم بالذات، أو هي ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، نحو القدرة والعزة والعظمة، وغيرها وقد حصرها أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية و وافقهم المحدثون في ذلك إلى سبع صفات وهي: الحياة، والإرادة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام[٢٤]. ولم يسهب المحدثون في الكلام على هذه الصفات إلا في صفة الكلام ومسألة خلق القرآن لأنها من المسائل العقائدية المهمة في تاريخ

المسلمين، التي من اجلها حصلت الفتنة بين المسلمين، بل بين أهل العلم أنفسهم في عهد المأمون، تلك الفتنة التي أدت إلى تعذيب وسجن وقتل كثير من أعلام الأمة الذين أنكروا على القائلين بخلق القرآن، وكذلك لمن لم يقل بذلك، وما الإمام احمد، والإمام محمد بن نوح إلا خير دليل على ذلك، يرى المحدثون فيما نقل بعضهم عن ابن بطال قوله: أن الكلام صفة قائمة بذات الله قديمة، لم يزل موجودا به ولا يزال كلامه لا يشبه المخلوقين، واشاروا ان غرض البخاري في باب قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾، [سورة سبأ، الآية ٢٣]، ومن ذكر هذه الآية: إثبات كلام الله القائم بذاته تعالى، ولم يقل في الآية ماذا خلق ربكم، وفيه رد على المعتزلة والجهمية حيث قالوا انه متكلم يعني انه خالق للكلام في اللوح المحفوظ، وتمسكوا بقول العرب قلت بيدي هذا أي حركتها واحتجوا بأن الكلام لا يعقل إلا بأعضاء ولسان والباري منزه عن ذلك، فرد عليهم البخاري بحديث الباب والآية[٢٥] . واستدل القائلون بخلق القرآن بعدة أدلة وقد ناقش المحدثين هذه الإدلة وقاموا بالرد عليها، وكان منها: قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، [سورة الرعد، الآية ١٦]، قالوا فالقرآن مخلوق لأنه شيء، وتعقب ذلك نعيم بن حماد وغيره من أهل الحديث بأن القرآن كلام الله وهو صفته فكما أن الله لم يدخل في عموم قوله كل شيء اتفاقا فكذلك صفاته[٢٦].

وقد تكلم المحدثون في مسألة أخرى تابعة لخلق القرآن وهي: اللفظ والحرف والصوت، وذكروا اختلاف العلماء من أهل السنة والجماعة فيها، فرووا ما وقع بين أئمة الحديث: الامام الذهلي والامام البخاري في عصره عندما دخل البخاري نيسابور، فقال الذهلي لأصحابه: لا تسألوه عن شيء من الكلام فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه وقع بيننا وبينه وشمت بنا كل ناصبيّ وجهميّ ومرجئيّ، فازدحم الناس على البخاري حتى امتلأت الدار والسطوح، فلما كان اليوم الثاني أو الثالث من يوم قدومه قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا، فوقع بين الناس اختلاف فقال بعضهم إنه قال لفظي بالقرآن مخلوق، وقال آخرون لم يقل، فوقع بينهم في ذلك اختلاف حتى قام بعضهم إلى بعض فاجتمع أهل الدار وأخرجوهم، فقال الذهلي: من قال إن القرآن مخلوق فقد كفر، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فقد ابتدع[٢٧]. وقد صحّ أن البخاري تبرّأ من هذا الإطلاق فقال: كل من نقل عني أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب عليّ وإنما قلت أفعال العباد مخلوقة[٢٨].

وقد علق المحدثون على هذه الحادثة فقالوا: الحق مع البخاري، في أن القراءة حادثة، إذ القراءة غير المقروء، والذكر غير المذكور، والكتابة غير المكتوب، نعم المقروء والمذكور والمكتوب قديم، ثم إن

جمهور المتكلمين من أهل السنة على القديم هو للمعنى القائم بذات الله سبحانه وتعالى، وأما اللفظ فحادث[٢٩].

وقد نقلوا عن الأشاعرة والحنابلة اختلافهم في المسألة حيث قالت الأشاعرة: كلام الله ليس بحرف ولا صوت وأثبتوا الكلام النفسي، وحقيقته معنى قائم بالنفس، وإن اختلفت عنه العبارة كالعربية والاعجمية، واختلافها لا يدل على اختلاف المعبر عنه، والكلام النفسي هو ذلك المعبر عنه، وأثبتت الحنابلة أن الله متكلم بحرف وصوت أما الحروف فللتصريح بها في ظاهر القرآن وأما الصوت فمن منع قال إن الصوت هو الهواء المنقطع المسموع من الحنجرة وأجاب من أثبته بأن الصوت الموصوف بذلك هو المعهود من الآدميين كالسمع والبصر وصفات الرب بخلاف ذلك فلا يلزم المحذور المذكور مع اعتقاد التنزيه وعدم التشبيه وأنه يجوز أن يكون من غير الحنجرة فلا يلزم التشبيه وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة: سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت فقال لي أبي بل تكلم بصوت[٣٠].

ويرى ابن تيمية أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، حروفه ومعانيه، وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء بما شاء، وكيف شاء، لم يحدث له الكلام بعد أن كان غير متكلم، فيوصف تعالى بالقول فهو يقول، ويوصف بالمناداة، فهو ينادي، ويناجي سبحانه وتعالى، ويتكلم كلاما يسمعه من شاء من عباده، وكلامه بحرف وصوت، يعني: بكلمات وحروف، فكلامه تعالى حروف وكلمات، وسور وآيات، فيجب إثبات صفة الكلام له سبحانه وتعالى مع نفي مماثلته تعالى للمخلوقات، فكلامه، وتكلمه ليس ككلام أحد من الخلق قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، [سورة الشورى، الآية ١١]، تكلم الله به جل وعلا وسمعه جبرائيل، وبلغه محمد عليه الصلاة والسلام، فالقرآن كله حروفه ومعانيه هو كلام الله، و من قال أنه مخلوق فقد كفر عند أهل السنة والجماعة، وهو موجود في اللوح المحفوظ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾، [سورة البروج، الآية ٢١، ٢٢]، وكما نص على ابن تيمية في كتبه ومنها العقيدة الواسطية، فقد ذكر في عقيدة أهل السنة والجماعة: فالقرآن كلام الله حروف ومعاني جميعاً، ولا يكون كلام إلا بحروف ومعاني، ومن قال خلاف ذلك فقد قال الشر، وابتدع في الدين وخالف أهل السنة والجماعة[٣١].

**ثالثاً: الصفات السمعية أو الخبرية:**

عرفها البيهقي بقوله: " وأما السمعي فهو ما كان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط ، كالوجه واليدين و العينين "[٣٢] . وسميت بذلك لأنَّ طريق إثباتها هو الخبر المجرد ولا دخل للعقل في إثباتها بل إنَّ العقل

قد يحيل الكثير من الظواهر الواردة فيها، لهذا كثر النزاع فيها بين المسلمين، وانقسم العلماء فيها على ثلاث مذاهب :

١. فمنهم من فوضها، وسكت عنها، ومررها كما جاءت.
٢. ومنهم من غلَّب ظواهر النصوص فأثبتها صفات لله تعالى.
٣. ومنهم من غلّب الحجج العقلية فمال إلى تأويلها وقد يصل التأويل إلى إخراجها من دائرة الصفات أصلًا كتأويلهم المجيء المضاف إليه تعالى بمجيء أمره وملائكته [٣٣]، وقد يكتفي بتأويلها بصفات أخرى يقرها العقل كتأويلهم اليد بالقدرة[٣٤].

وقد تكلم المحدثون عن هذه الصفات بشيء من التفصيل ولم يكن لهم مذهب واحد فيها، وإنما كان منهجهم فيها انتقائي فلم يعاملوا النصوص معاملة واحدة أي إثباتها على حقيقتها جميعاً، ولكنهم كانوا أحيانا كثيرة يفوضون وينسبون ذلك إلى السلف وأحيانا يثبتونها وأحيانا يرجحون مذهب التأويل، وسنذكر نموذجاً من هذه الصفات ونرى كيفية تعاملهم معها، فمثلاً: اليد، فقد وردت لفظة اليد في القرآن الكريم وفي صحيح البخاري في عدة مواضع، من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾، [سورة المائدة، الآية ٦٤].

ومن السنة النبوية:

قوله : "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ"[٣٥].

نقل المحدثون أقوال العلماء في هذه المسألة من تفويض وإثبات وتأويل، وقالوا: أن التفويض هو مذهب السلف وصرحوا بقولهم: " واختلف أئمتنا في ذلك هل نؤول المشكل أو نفوض معناه المراد إليه سبحانه وتعالى، مع اتفاقهم على أنَّ جهلنا بتفصيله لا يقدح اعتقادنا المراد منه، والتفويض مذهب السلف وهو أسلم "[٣٦] .

ونقلوا أيضاً أقوال من أثبت صفة اليد من أهل العلم فقالوا:

أثبت هذه الصفة الإمام أبي حنيفة حيث قال: إنَّ تأويل اليد بالقدرة يلزم منه التعطيل، فالسبيل فيه كأمثاله الإيمان به على ما أراد، ونكف عن الخوض في تأويله فنقول له يد على ما أراد لا كيد المخلوق[٣٧]، وقال الأشعري: وله يدين بلا كيف، كما صرحت به الآيات في محكم التنزيل[٣٨]، كما

اثبتها ابن بطال قائلا: "إثبات يدين لله وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين خلافا للمشبهة"[٣٩]، كما اثبت اليد والاصابع ابن خزيمة والدارمي وابن تيمية وابن القيم[٤٠].

وأول المحدثون هذه الصفة بتأويلات مختلفة بحسب المعنى المناسب لها، ونقلوا بعض أقوال العلماء في ذلك وكانت كالآتي:

قال المحدثون المراد باليد القدرة والملك والعظمة و الصلة و القوة و السلطان و الجماعة و الحفظ والوقاية وغيرها من المعاني الكثيرة التي ذكرها العلماء [٤١].

**ثالثاً: جهودهم في النبوات:**

تكلم المحدثون عن النبوات بشيء من التفصيل، ولقد عرفوا النبيّ والرسول والفرق بينهما وقالوا عن معنى النبي في اللغة: هو المخبر عن الله، وقيل بمعنى مفعول أي: أخبره الله بأمره، وقيل: اشتق من النبأ، وهو ما ارتفع من الأرض، لرفعه منازلهم. وقيل النبأ: الطريق، سميّ بذلك؛ لأنه الطريق إلى الله تعالى، ولغة قريش: ترك الهمز، إما تسهيلاً، وإمّا مشتقاً من النبوة وهو الارتفاع أي إنه أشرف على سائر الخلق[٤٢]. وأما الرسول في اللغة: مشتق من رَسَلَ، وأصل الرسل الانبعاث على التؤدة، يقال: ناقة رَسْلة، سهلة السير، وإبل مراسيل منبعثة إنبعاثاً سهلاً ومنه الرسول المنبعث، والرسول هو الذي يتابع أخبار من بعثه، أخذا من قولهم: جاءت الإبل رسلا أي متتابعة[٤٣].

وأما إصطلاحا فقد عرّف المحدثون النبي بأنه: المنبأ من جهة الله بأمر يقتضي تكليفا وإن أمر بتبليغه إلى غيره فهو رسول، وإلا فهو نبي غير رسول وعلى هذا فكل رسول نبي بلا عكس فإن النبي والرسول اشتركا في أمر عام وهو النبأ وافترقا في الرسالة، فإذا قلت فلان رسول تضمن أنه نبي رسول وإذا قلت فلان نبي لم يستلزم أنه رسول[٤٤].

وأما الفرق بين النبي والرسول فقد قرر المحدثون بأن النبيّ والرّسول متغايران لفظاً ومعنى، وقالوا أن الوصف بالرسالة أعمّ في حقّ البشر من الوصف بالنبوة، وبيان ذلك: أن الرسالة تزيد على النبوة بتبليغ الاحكام للمكلفين، بخلاف النبوة المجردة فإنّها إطلاع على بعض المغيبات، وقد يقرر بعض الأنبياء شريعة من قبله، ولكن لا يأتي بحكم جديد مخالف لمن قبله ومن هنا كان التعبير بالنّبيين يشمل الرسل من غير عكس وهذا يعني أن كل رسول نبي، وليس كل نبيّ رسولاً، فوصف الرسالة يستلزم وصف النبوة[٤٥].

ذكر المحدثون أن الأنبياء في خَلقِهم وخُلُقِهم على غاية الكمال، ومن نسب نبياً من الأنبياء إلى نقص فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر[٤٦]. وقد بينوا أبرز صفات الرسل ومميزاتهم، ومن ذلك: التبليغ الصدق والأمانة العصمة، العصمة من الكبائر والصغائر، ويرى المحدثون أن الأنبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها بالإجماع[٤٧] .

**ثالثاً: جهودهم في السمعيات:** تكلم المحدثون في باب السمعيات بأسهاب كبير وفصلوا القول فيها وسنعرض بعضاً منها، وهي كالآتي:

**الملائكة والجن:** تكلم المحدثون عن الملائكة والجن في أكثر من موضع، وبينوا أنها من الغيب الذي يجب أن نؤمن به، ونؤمن بوجودهم وصفاتهم وأعمالهم التي ثبتت في الكتاب والسنة، وحقيقة الملائكة والجن من الغيب الذي ليس للناس علم به إلا ما أخبرت به نصوص الكتاب والسنة، فيجب الوقوف عند ذلك، وترك تكلف التعريف بهم بما لم يدل عليه الدليل النقلي الثابت . وقد عرف المحدثون الملائكة لغة: ملك بفتح اللام فقيل مخفف من مالك، وقيل مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لاك، وقيل أصله الملك بفتح ثم سكون وهو الأخذ بقوة . أما في الاصطلاح فقد ذكروا تعريف جمهور العلماء وأهل الكلام من المسلمين و وافقوهم وهو: أنها أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات . وقد أضاف العيني تعريفا اخر بقوله: جوهر بسيط ذو نطق وعقل مقدس عن ظلمة الشهوة وكدورة الغضب ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس، وانسهم بذكر الله تعالى خلقوا على صور مختلفة واقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته وإسكان سمواته[٤٨].

أما عن تعريف الجن والشياطين فقد قالوا: الجن والشياطين من مخلوقات الله عز وجل الذين جاء ذكرهم في الوحي المنزل من الله تعالى، وممن أخبر النبي □، عن وجودهم، وقد دلت على وجودهم نصوص الكتاب والسنة مع إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين عليه وتواتر نقله عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تواترا ظاهرا يعلمه الخاص والعام فلا عبرة بإنكار الفلاسفة والباطنية وغيرهم ذلك[٤٩].

**عذاب القبر ونعيمه:** ذهب المحدثون إلى اثبات عذاب القبر ونعيمه، وهو الذي عليه إجماع الصحابة والتابعين، وأصحاب الحديث، وجمهور العلماء، وأغلب المعتزلة[٥٠]. وقالوا بثبوت العذاب لمن يستحقه من الموتى سواء أُقبر أو لم يقبر، فقالوا: وإنما أُضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون

الغالب على الموتى أن يُقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العُصاة يعذّب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله[٥١].

**ثانياً: أبرز المحدثين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ومنهجهم في العقيدة**

أ- أبرز المحدثين: يعد القرن الثامن والتاسع من العصور الذهبية في الكتابة والتأليف وقد برز فيه الكثير من العلماء الموسوعيين الذين لم يختصوا بالإشتغال بعلم واحد فقط ولكنهم كان لهم الباع الكبير في كافة العلوم، وكان من أبرزهم:

١. ابن تيمية، (٦٦١ هـ – ٧٢٨ هـ )، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، ولد في حرّان وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة (٧١٢ هـ) واعتقل بها سنة (٧٢هـ) وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، له عدة مصنفات منها: (الإيمان) و(مجموع الفتاوى) و(السياسة الشرعية) وغيرها من المؤلفات الكثيرة [٥٢].

٢. الطيبي، (..... ٧٤٣ هـ)، الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، من أهل توريز، من عراق العجم،. وكان شديد الردّ على المبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر، من كتبه أربعة مجلدات ضخمة في التفسير، سماه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) في الخزانة الأزهرية، و(شرح مشكاة المصابيح) في الحديث وغيرها من الكتب[٥٣].

٣. الذهبي، (٦٧٣ هـ .– ٧٤٨ هـ)، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركمانيّ الأصل، من أهل ميافارقين، ولد في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة (٧٤١ هـ) تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها: ( تاريخ الإسلام الكبير) و ( سير اعلام النبلاء )[٥٤] .

٤. ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، (٦٩١ – ٧٥١ هـ )، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين

وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى، وأطلق بعد موت ابن تيمية، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيماً، وألّف تصانيف كثيرة منها(إعلام الموقعين) و (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ) و (الكافية الشافية) منظومة في العقائد، شرحها أحمد بن عيسى النجدي في كتاب (شرح نونية ابن القيم) و (مدارج السالكين) و (إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) [٥٥].

٥. تقي الدين السبكي، (٦٨٣ هـ – ٧٥٦ هـ )، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقيّ الدين، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر)، وتنقل من القاهرة إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة (٧٣٩ هـ )، واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، من كتبه: (السيف المسلول على من سب الرسول) و (مجموعة الفتاوى) و ( شفاء السقام في زيارة خير الأنام)[٥٦].

٦. ابن كثير، (٧٠١هـ – ٧٧٤هـ)، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر البصروي، ثم الدمشقي، الشافعي، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد بجندل من أعمال بصرى، ثم انتقل إلى دمشق، ونشأ بها، وتوفي بها في شعبان، ودفن بمقبرة الصوفية، من كتبه: (البداية والنهاية ) و(تفسير القرآن الكريم)، وغيرها من الكتب [٥٧].

٧. الكَرْماني، (٧١٧ – ٧٨٦ هـ )، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، عالم بالحديث، أصله من كرمان، اشتهر في بغداد، وأقام مدة بمكة. وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري) خمسة وعشرون جزءاً، و (شرح لمختصر ابن الحاجب) سماه (السبعة السيارة) لأنه جمع فيه سبعة شروح، ومات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد، ودفن فيها [٥٨] .

٨. ابن رجب الحنبلي، (٧٣٦ هـ – ٧٩٥ هـ )، الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي أبو الفرج الشهير بابن رجب، حافظ للحديث، من العلماء، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق، من كتبه: (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم) و (فتح الباري، شرح صحيح البخاري)[٥٩] .

٩. ابن المُلَقِّن، (٧٢٣ هـ– ٨٠٤ هـ )، عمر بن علي بن أحمد الأَنْصَارِي الشافعيّ، سراج الدين، أبو حفص ابن النحويّ، من أكابر علماء الحديث والفقه وتاريخ الرجال، أصله من وادي آش (بالأندلس) ولد في القاهرة و له نحو ثلاثمائة مصنف، منها (إكمال تهذيب الكمال في أسماء

الرجال) و ( التذكرة في علوم الحديث) و (التوضيح لشرح الجامع الصحيح)، توفي في القاهرة [٦٠].

١٠. ألأُبِّي، (٨٢٧ هـ ) محمد بن خليفة بن عمر الوشتاني المالكي، من أهل تونس. نسبته إلى (آبَهْ) من قراها، عالم بالحديث، ولي قضاء الجزيرة، سنة ( ٨٠٨هـ) له (إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم) سبعة أجزاء، في شرح صحيح مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة، و (شرح المدونة) وغير ذلك، مات بتونس سنة (٨٢٧ هـ)[٦١].

١١. العسقلاني، (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ )، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر، من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) و (لسان الميزان) من أشهر كتبه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)[٦٢].

١٢. بدر الدين العَيْني، (٧٦٢ – ٨٥٥ هـ)، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عدَّ من أخصائه، ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة، من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري) و (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار) و (العلم الهيب في شرح الكلم الطيب)[٦٣].

١٣. الكَوْرَاني، (٨١٣ – ٨٩٣ هـ )، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي، محدث، مفسر، كردي الأصل، من أهل شهرزور، تعلم بمصر رحل إلى بلاد الترك فعهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم وليّ عهده (محمد الفاتح) وولي القضاء في أيام الفاتح، وتوفي بالقسطنطينية، وصلى عليه السلطان بايزيد، له كتب منها (غاية الأماني في تفسير السبع المثاني) و (الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع للسبكي) و (الكوثر الجاري لشرح صحيح البخاري)[٦٤].

**ب- منهجهم في العقيدة:**

١- جمع المحدثون بين الأدلة النقلية والعقلية في إثبات مسائل العقيدة، حيث كانوا يعتمدون على تقريرها أولا على القرآن الكريم، ثم بما صح من الأحاديث ثم يتبعون ذلك بأقوال وتفسيرات السلف لتلك النصوص، فإن لم يجدوا رأيا للسلف في المسألة ذكروا أقوال أهل العلم على مختلف توجهاتهم ثم يرجحوا ما يرونه موافقا للنقل الصحيح والعقل الصريح، بحسب ما آتاهم الله من الفهم عن تلك النصوص، فهم يرون أن نصوص الكتاب والسنة الصحيحة والصريحة في دلالتها، لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة، ذلك أن العقل شاهد بصحة الشريعة إجمالا وتفصيلا، وقد وافقوا في ذلك أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية في طريقة استدلاهم.

٢-جمع المحدثون اقوال المتكلمين على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم من كتبهم المعتمدة، ومن الشروح التي سبقتهم، وقاموا بتحقيقها وتحليلها ومقارنتها والرد على الباطل منها بكل موضوعية وأمانة علمية، محاولين الجمع والتوفيق بين آراء أهل السنة والجماعة.

٣- منهج المحدثون في نقد المخالف كان يقوم على الأدب الكبير الذي تحلوا به حتى مع مخالفيهم، فكانوا يذكرون آراء المذاهب الكلامية من غير طعن أو سب أو لعن لهذه المدارس ويردون عليها بما عندهم من أدلة بكل موضوعية، فقاموا بنقل اقوال المعتزلة والمرجئة وغيرها من الفرق الاسلامية ومناقشتها والرد عليها بكل موضوعية وتجرد.

٤- البحث الموضوعي الذي نهجه المحدثون، ونراه جلياً من خلال عدم اتخاذهم لموقف موحد في الكثير من المسائل التي اختلف فيها علماء الكلام ،واتخذوا منها مواقف متباينة ،وخير مثال على ذلك موقفهم من الصفات الخبرية، فأحيانًا يرجحون التفويض ومرة يرجحون التأويل ومرة يقولون بالإثبات، وهذا معناه أن المحدثين لم يكن لهم قول سابق قبل دراسة المسألة حتى يلوي الدليل لقولهم، وإنما يبحث المسألة في جملة أدلتها مستنبطاً ما يراه راجحاً وغير متعصب، لفئة أو مدرسة أو مذهب.

٥- إظهارهم وسطية أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية في أبواب الإعتقاد في أكثر من موضع ومن ذلك: قولهم في مرتكب الكبيرة وسط بين المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب، وبين الخوارج والمعتزلة الذين يخرجون صاحبها من الإيمان ويحكمون بخلوده في النار إن مات عليها من غير توبة، فأهل السنة والجماعة يرون أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأنه تحت مشيئة الله إن مات ولم يتب، إن شاء الله غفر له ودخل الجنة ابتداءً، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار[٦٥].

## الخاتمة

١- عاش المحدثون عبر قرنين من الزمن " الثامن والتاسع الهجريين"، وهما العصران الذهبيان في الكتابة والتأليف والتصنيف، فخلفوا للأمة الاسلامية موسوعات تحوي كافة العلوم الشرعية وخاصة العقدية منها وكان منهج أغلبهم موافق لرأي جمهور أهل السنة والجماعة من الاشاعرة والماتريدية.

٢- استخدم المحدثون الأدلة العقلية والنقلية في إثبات اقولهم في العقيدة وخصوصًا الأحاديث النبوية حيث كانوا يعتمدون على الأحاديث التي يُحتج بها وكانوا يسوقنها بأسانيدها، فأصبح ومن خلال منهجهم هذا ممثلًا للتيار الحديثي الأشعري الذي سار على نهجه أغلب شراح الحديث.

٣- جمع المحدثون اقوال المتكلمين على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم من كتبهم المعتمدة، ومن الشروح التي سبقتهم، وقاموا بتحقيقها ومقارنتها والرد على الباطل بكل موضوعية وأمانة علمية.

٤- آراء أغلب المحدثين في تقسيم الصفات الالهية موافق لتقسيم الاشاعرة والماتريدية ولم يعاملوا الصفات معاملة واحدة فكان منهجهم بين التفويض وهو مذهب السلف كما قالوا والاثبات القريب الى التفويض والتأويل بعيدًا عن التعطيل والتشبيه، ونلاحظ من ذلك أن المحدثين توسعوا في قبول هذه الأقوال ولم يروا فيها مبررًا لاختلاف الأمة وتناحرها، إلا ما ظهر بعده من دائرة الصواب كالفلاسفة والمجسمة.

٥- البحث الموضوعي الذي نهجه المحدثون، ونراه جلياً من خلال عدم اتخاذهم لموقف موحد في الكثير من المسائل التي اختلف فيها علماء الكلام ،واتخذوا منها مواقف متباينة ،وخير مثال على ذلك موقفهم من الصفات الخبرية، فأحيانًا يرجحون التفويض ومرة يرجحون التأويل ومرة يقولون بالإثبات، وهذا معناه أن المحدثين لم يكن لهم قول سابق قبل دراسة المسألة حتى يلوي الدليل لقوله، وإنما يبحث المسألة في جملة أدلتها مستنبطاً ما يراه راجحاً وغير متعصب، لفئة أو مدرسة أو مذهب.

٦- إن أكثر الخلافات العقدية بين المدارس الكلامية، من أهل السنة والجماعة، سواء كانت في الصفات أو في غيرها هي من المسائل ، التي يحاول أعداء الإسلام إثارتها في كل زمان، لتفرقة الصف المسلم، إنما هي اختلافات فرعية، لا يترتب عليها تكفير أو تبديع أو تفسيق

أحد من المسلمين ،فلينتبه شباب الأمة اليوم من طلاب العلم إلى هذه المسألة جيدًا، ويراجعوا كتب السلف الصالح من علماء الأمة العاملين، من أمثال المحدثين وغيرهم من العلماء.

وبعد الانتهاء من هذا البحث بفضل الله ورحمته يوصي الباحثون بدراسة كتب المحدثين وخاصة من لهم شروح على كتب السنة النبوية سواء التي وضعت على البخاري او على غيره من كتب السنن الاخرى لأكابر علماء الامة والتي وضعوا فيها خلاصة عقولهم، واستخراج ما فيها من علوم في كافة العلوم الشرعية وخاصة العقدية منه لاستخلاص منهج للمحدثين في العقيدة يجمع بين مدرسة النقل والعقل والذي يغفل عنه اليوم الكثير من طلبة العلم بين متشدد للنقل وينسب ذلك لأهل الحديث في حين أننا راينا ومن خلال الدراسة لمنهج أغلبهم، أن طريقة المحدثين المعتبرة في العقيدة هي الجمع والتوفيق بين النقل والعقل، كما نوصي الباحثين بترك التعصب المذهبي المقيت الذي فرق الأمة وشتتها فرقاً واحزابا، وأن يبحثوا بموضوعية وتجرد وإخلاص وأمانة في جهود وأقوال العلماء من كتبهم واحترام أقوالهم فكلها أقوال واجتهادات معتبرة ما دامت تدور في عقيدة أهل السنة والجماعة.

وأخيراَ بعد أن تقدمنا باليسير في هذا المجال الواسع آملين أن ينال القبول ويلقى الاستحسان..

وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

**الهوامش**

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين ص١- ٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣١١.

(٣) أنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٨٦. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٣٠٠.

(٤) الجرجاني، التعريفات، ص١٥٥.

(٥) التفتازاني، شرح المقاصد، ج١، ص٥.

(٦) محمد عبده، رسالة التوحيد، ص٥.

(٧) أنظر: د. عليان، و د. الدوري، العقيدة الإسلامية، ص٢٣.

(٨) عياش، المحكم في العقيدة، ص١٩-٢١.

(٩) أنظر: الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص٢٧-٢٩.

(١٠) أنظر: عبد الرزاق، تمهيد تاريخ الفلسفة، ص٢٨٧ .

(١١) لم يقف معهم فقط بل تبنى أفكارهم، ومن أشنعها القول بخلق القرآن، وشدد على علماء عصره ومنهم الأمام أحمد بن حنبل رحمه الله. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٨١-٨٣.

(١٢) أنظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٨، ص٦٣١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٢٧.

(١٣) أنظر: ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص٩٤، عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص١٤٦.

(١٤) كالباقلاني، (٤٠٣هـ)، وابن فورك، (٤٠٦هـ)، والإسفراييني(٤١٨هـ)، وأبو منصور البغدادي(٤٢٩هـ)، والجويني، (٤٧٨هـ)، والغزالي، (٥٠٥هـ)، والرازي، (٦٠٦هـ)، وسائر شراح الحديث.

(١٥) أنظر: عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص١٤٦-١٥٧.

(١٦) أنظر: ابن رجب، فتح الباري، ج١، ص٥-٨، والكرماني، الكواكب، ج١، ص٧٠، العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٦٥. العيني، عمدة القاري، ج١، ص١٠٢.

(١٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١، ص١٣٣، السبكي، فتاوى السبكي، ج١، ص٥٥، الكرماني، الكواكب، ١: ٧٠. العسقلاني، فتح الباري، ١: ٤٦. العيني، عمدة القاري، ١: ١٠٢.

(١٨) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج١، ص٧٧. العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٤٦. العيني، عمدة القاري، ج١، ص ١٠٩.

(١٩)أنظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١، ص١٣٣، السبكي، فتاوى السبكي، ج١، ص٥٥، الكرماني، الكواكب،ج١، ص٧٠. العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٤٦. العيني، عمدة القاري، ج١، ص١٠٢.

(٢٠)أنظر: العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٣٥٧. البيهقي، الاعتقاد، ج١، ص٧١.

(٢١)أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ٢٥: ٢١٥. العسقلاني، فتح الباري، ١٣: ٤٩٧. العيني، عمدة القاري، ٢٥: ١٧٩.

(٢٢)أنظر: السفاريني، لوامع الانوار البهية، ج١، ص٣٩. البيجوري، تحفة المريد، ج١، ص١٠٧. الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٥، ص٩٥. العيني، عمدة القاري، ج٢٥، ص١٧٩.

(٢٣)أنظر: السفاريني، لوامع الانوار البهية، ج١، ص٣٩. البيجوري، تحفة المريد، ج١، ص١٠٧. الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٥، ص٩٥. العيني، عمدة القاري، ج٢٥، ص١٧٩.

(٢٤)أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٥، ص٩٦. العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٣٥٧. الجرجاني، التعريفات، ج١، ص١٣٣.

(٢٥) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٥، ص٢١٥. العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٤٩٧.العيني، عمدة القاري، ج٢٥، ص١٧٩.

(٢٦) أنظر: العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٥٣٢.

(٢٧) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٥، ص١١٩-٢٢٠. العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٤٩.

(٢٨) أنظر: العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٥٠٣.

(٢٩) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٥، ص١١٩-٢٢٠.

(٣٠) أنظر: العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٤٦٠.

(٣١) أنظر: البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية)، ج١،ص١١٧.

(٣٢) أنظر: الإعتقاد، البيهقي، ص ٧١ .

(٣٣) وممن ذهب إلى هذا التأويل الإمام أحمد والقاضي عياض ، أنظر: ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. أنظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج٣، ص١٩.

(٣٤) أنظر: البيهقي، الأسماء والصفات، ص١٢٩. البيهقي ص ١٢٩ ، شرح النووي على صحيح مسلم، ج٧، ص١٣٢.

(٣٥) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حُبُّ الرَّسُولِ  مِنَ الإِيمَانِ، رقم ١٣، ج١، ص١٢.

(٣٦) أنظر: العيني، عمدة القاري، ج١٩، ص١٤٤.

(٣٧) أنظر: علي القاري، الفقه الأكبر، ج١، ص٣٠٢. العيني، عمدة القاري، ج١، ص١٤٤.

(٣٨) أنظر: الاشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٣٢٠. العيني، عمدة القاري، ج٢٥، ص١٠٨.

(٣٩)أنظر: العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٣٩٣.

(٤٠) أنظر: الدارمي، نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي، ج١، ص٣٧١. ابن خزيمة، التوحيد، ج١، ص١٨٧. ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج٦، ص٦٥٨.

(٤١) أنظر: البيهقي، الأسماء والصفات، ج١، ص٣٣١. الطبري، جامع البيان، ج٢٧، ص٧. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٢٣٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص ٢٢٨. العيني، عمدة القاري، ٢٣: ١٠٢ . العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٣٩٤.

(٤٢) أنظر: العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص١٩٢. ١: ١٩٢. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٦٩. ١: ١٦٩. الجرجاني، التعريفات، ج١، ص٥٣.

(٤٣) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٣، ص١٠٨. العيني، عمدة القاري، ج٥، ص١٠٩. ابن مظور، لسان العرب، ج١١، ص. ٢٨١-٢٨٤. الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ج١، ص١٠٠٥.

(٤٤) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٣، ص ١٠٨. العسقلاني، فتح الباري، ج١١، ص ١١٢.

(٤٥) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٢، ص ١٢٨. العسقلاني، فتح الباري، ج٢، ص١١. العيني، عمدة القاري، ج٦: ص١١٢.

(٤٦) أنظر: العسقلاني: فتح الباري، ج٦،: ص٤٣٨.

(٤٧) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٥، ص٢٢١. العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٣١. العيني، عمدة القاري، ج١٧، ص٢٩٦.

(٤٨) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج١٣، ص١٦٢. العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٣٠٦. العيني، عمدة القاري، ج١٥، ص١٢٣.

(٤٩) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج١٣، ص٢١٠. العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٣٤٣. العيني، عمدة القاري، ج١٦، ص٣٠٩.

(٥٠) أنظر: الكرماني، الكواكب الدراري، ج٢٣، ص٣٠. العسقلاني، فتح الباري، ج٣، ص٢٣٣. العيني، عمدة القاري، ج٢، ص٩٨. الاشعري، الإبانة، ج١، ص٢٤٧. الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص٥٥.

(٥١) أنظر: العسقلاني، فتح الباري، ج٣، ص٢٣٣. العيني، عمدة القاري، ج٨، ص١٩٩.

(٥٢) أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٨٦.

(٥٣) أنظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢٢٩.

(٥٤) أنظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص٦٦.

(٥٥) أنظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص١٣٧.

(٥٦) أنظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٢١.

(٥٧) أنظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٥٣.

(٥٨) أنظر: العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء، ج٢، ص١٨٢.

(٥٩) أنظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٥٧٨.

(٦٠) أنظر: السخاوي، الضوء الامع، ج٦، ص١٠٠.

(٦١) أنظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص١٦٩.

(٦٢) أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٦.

(٦٣) أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١.

(٦٤) أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١.

(٦٥) أنظر: الكرماني، الكواكب، ج١، ص٧٧. العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٤٦. العيني، عمدة القاري، ج١، ص١٠٩.